حقوق الإنسان في الإسلام

في القطار إلى بروكسيل. ٥ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

يبيِّن فتحي عثمان، في عدد تشرين الأول/نوفمبر من "العربية" أن الفكر الإسلامي المعاصر غير واضح تماماً فيما يتعلق بالحقوق الأساسية للإنسان من وجهة نظر إسلامية (صفحة ١١)، وإنني للأسف، أعتقد أنه على صواب.

عندما يُسأل المسلمون عن موقفهم من الإنجازات الأساسية التي حدثت في الثورتين الأمريكية والفرنسية في القرن الثامن عشر، سيكون الصدى مرتبكاً وغير واضح. فمن ناحية، هناك مسلمون مثقفون لهم رأيهم الخاص أمثال كل من: محمد أسد، وفتحي عثمان ذاته، ودون أن يكونوا معاصرين تطوريين، يتعاملون مع هذا السؤال عما إذا كان الإسلام، والعقلية الإسلامية لا يزالان مناسبين لعصرنا الحاضر، بمنتهى الصراحة والوضوح. ومن ناحية أخرى، فيمكننا أن نجد كاتباً آخر مثل أوجوزان سيمسيك *Oguzhan Simsek*، والذي كتب مقالاً في عدد تشرين أول/نوفمبر ١٩٨٥ في مجلة *Hicret (Cologne)* في كولونيا، يقدم اعترافاً قصيراً عن الديمقراطية بقوله: "ما هي الديمقراطية؟ إنها ليست إسلامية".

وأكثر من ذلك، فإن الدول الإسلامية لم يكن لها ردُّ فعل موحَّد إزاء توحيد حقوق الإنسان، سواء أكان ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة (في العاشر من كانون أول/ديسمبر ١٩٤٨)، أو المعاهدات العالمية للحقوق المدنية، والسياسية،

والاقتصادية، والاجتماعية والحضارية (في التاسع عشر من كانون أول/ديسمبر ١٩٦٦).

وقد سارعت كل من: مصر، والعراق، والأردن، ولبنان، وليبيا، ومالي، والمغرب، وسورية، وتونس، إلى الموافقة على قبول هذه المعاهدات، إلا أن الدول الأخرى ترددت. وكان من بين الدول المترددة في ذلك الحين: المملكة العربية السعودية، والباكستان، واللتان كانتا فعالتين منذ عام ١٩٨٠ في تطوير مجموعة قيم بديلة لحقوق الإنسان الإسلامية.

وكان ذلك بسبب عدم التطابق التام بين الحقوق الغربية للإنسان مع الشريعة القرآنية، والتي على سبيل المثال، تهدد الخارجين عن الإسلام بسلب امتيازاتهم القانونية، ولا توفر المساواة القانونية الكاملة للمرأة، ولا تقبل تسلُّم غير المسلمين مناصب عليا في الدولة.

ولا يمكن لباحث قانوني مسلم أن يتجاهل مبدأ "العبودية" (علماً بأنها لم تعد مقبولة في أي مكان في العالم الإسلامي مثلاً)، فلا بد له أن يأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن القرآن الكريم أورد ذكر العبودية بقدر كبير من التفصيل، فهو ينفّر الناس [المسلمين] من ممارستها، إلا أنه لا يعلن أنها ممارسة غير شرعية على الإطلاق.

وأما مسألة "الردة" فهي أبسطُ، علماً بأن المرتدين قد قتلوا خلال العصور الوسطى. كما أن حكم القرآن الكريم في الآية الثالثة والثلاثين من سورة المائدة ٣٣/٥: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ لا يفسر على أنه التعامل مع التغييرات السلمية للارتباطات الدينية، ولكن كما أريد منه فقط للخيانة العظمى، والتآمر ضد سلامة البلد الإسلامي وأمنه.

ونرى أن كثيراً من الدول الحديثة تُنزِل عقوبة الموت لهذا النوع من الجرائم. [وليس الإسلام وحده].

كما يمكن الدفاع أيضاً بسهولة عن موضوع استثناء غير المسلمين من تولي القيادة أو الخلافة، وبخاصة فيما يتعلق بحماية الوحدة التامة للأقليات الدينية وغيرها الموجودة تحت ظل الحكم الإسلامي. وطبقاً لدستور الولايات المتحدة الأمريكية، فإن ولدي "ألكسندر هوفمان"، وهو مولود كمواطن أمريكي، لا يستطيع أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وذلك لأنه مولود خارج حدود أمريكا. فإذا لم يكن هذا الحُكْم مخالفاً لحقوق الإنسان، فيجب أن يكون الاحتفاظ ببعض الوظائف المحددة للمسلمين الموجودين في بلد إسلامي مقبولاً تماماً مثل هذا الحُكْم.

وهذا ما يجعلني أواجه في صدامٍ مباشر مع العقيدة الغربية والشريعة الإسلامية فيما يتعلق بموضوع مساواة المرأة. فإنني لا أرى أي جدوى لإنكار حقيقة أن الشريعة الإسلامية تقدِّم نموذجاً مغايراً يقوم على أساس التقسيم الطبيعي للأدوار والوظائف بين الجنسين. وعلى هذا الأساس تعمل الشريعة الإسلامية طبقاً لمبدأ أن المعاملة بالمثل يجب أن تكون طبقاً للأحوال المتساوية والحالات المتماثلة، وليس للأشخاص المتساوين. والشريعة الإسلامية، على كل حال، تهدف إلى حماية عزة المرأة وشرفها وكرامتها، وتحول دون استغلال الرجل لنقاط الضعف الخاصة عند المرأة المتأصلة بالفوارق الحيوية البيولوجية. وأما الصيغة الإسلامية فهي كما يلي: كرامة متساوية، واجبات مختلفة؛ حالات متساوية، وأدوار مختلفة؛ قيمة متساوية، وقدرات مختلفة.

وليس هناك أية طريقة معتمدة لقياس ما إذا كانت المرأة المهنية الغربية، نتيجة لما يسمى "التحرير" الأكبر، تتمتع بمزيد من السعادة

والاستمتاع عن أخواتها النساء الشرقيات. إلا أن الكثير منهن لا يحبِّذْن هذا التحرير. وإنني أشك على أي حال بأن "نوعية الحياة" بالنسبة للمرأة لا يمكن أن يضمنها أي "نظام"، إلا أنها نتيجة في جزئها الأكبر للمواقف الإنسانية تجاه الآخرين، وتجاه الذات. وإن السعادة في الحقيقة هي أمر "قلبي".

ولكن هناك أمراً واحداً يجب أن يحترمه النقاد الغربيون: فبالنسبة للمسلمين، وفيما يتعلق بحقوق الإنسان، فإن الكلمة الفصل في هذا المجال هي كلمة "الله"، وكلام الله هو "القرآن الكريم".

obeikandl.com

خرافات وأوهام رقمية...

بروكسيل ـ ١٦ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

يعتقد المسلمون أن القرآن الكريم إنما هو تثبيت وترسيخ، باللغة العربية، لخطاب الله ﷻ، لأبناء البشرية. وهذه هي الخلفية التي يمكن أن تفهم من التحدي الساخر الذي اشتملت عليه الآية الثالثة عشرة من سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

ومن الطبيعي، إذن، أن يحاول المسلمون المحبون للاستطلاع دائماً الكشف عن التركيب الداخلي الخفي، أو هندسة العمارة؛ إن شئت تسميتها كذلك، للقرآن الكريم، تماماً كما يحاول الفلكيون أن يعملوا مع الكون بأكمله. وبالطبع، فإن هذا البحث يُذْكي ناره الرغبة الخاصة لاقتحام أسرار معاني "المقطَّعات"، وهي الحروف الغامضة التي تتألف من خمسة أحرف وتأتي في أوائل كثير من سور القرآن الكريم.

إن الرمزية الرقمية في الإسلام هي أسلوب خاص لتوضيح هذا الأمر، وغيره من أحجيات التفسير. إن مثل هذا الأسلوب من القبلانية[1]، أو الصوفية هو مذهب فئة قليلة يفترض أن كلمات معينة، كالأرقام مثلاً، يمكن أن تدل، أو تمثِّل أرقاماً بعينها؛ كما يمكن أن يفترضوا أن لهذه الأرقام أسراراً خاصة بها.

(١) القبلانية، فلسفة دينية سرية عن أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً، معتقد صوفي.

وكما أثبت الغياب الواضح للرقم ١٣ على أبواب غرف الفنادق، فهذا يعني أن هذا الموقف منتشر، بل متمكن أيضاً خارج نطاق الدِّين الإسلامي. وقد وصف "بابوس" *Papus* وهو سيد القبلانية، هذه المسألة بمنتهى البساطة قائلاً: "استبدلْ الحروف بالأرقام، والعكس بالعكس، وأجرِ العمليات الحسابية على هذا الأساس". *(Die Kabbala, Wiesbaden 1983)*.

وبالطبع، فإن الرمزية الرقمية، حتى لو عرضت على أنها علمية، فما هي إلا مجرد تأملاتٍ محضة، وتعتمد أساساً على الظنّ التخيلي فقط فيما يتعلق بالقيمة الكمية والنوعية "الطبيعية" لأي حرف من حروف الألفباء. بل إن الكشف الصوفي أو التأمل الفلسفي القبلاني يمكن أن ينظر إليه على أنه نوع آخر من "الكيمياء" القديمة: صوفية رياضية تحاول الحصول على قوى سحرية وحدس "تنبؤي" [كاذب].

والعجيب في الأمر، فقد قام مؤخراً عالم دين نصراني بتحليل رقمي للقرآن الكريم بعنوان: (محمد وعيسى ـ النصوص المتعلقة بالنصرانية في القرآن الكريم، فيينا ١٩٧٨). وقد استخدم البروفيسور كلاوس شيدل *Clause Schedl* طريقة "*logo* ـ الفنية"، ذات الأسلوب القبلاني، لخمسمئة صفحة، ثم يطرح منها، ويضيف إليها خانات من اليسار إلى اليمين، ومن فوق إلى تحت، كي يستنتج فقط ما يلي:

إن القرآن الكريم مرتب بطريقة ممتازة.

كان محمد [ﷺ] فناناً مبدعاً [حاشا لله] وكاتباً صقل نصوصه إلى أن رضي عن الكمال الفني للنص (صفحة ١٦٦).

إن ما ورد في القرآن الكريم عن النصرانية هو قريب ومشابهٌ جداً لما هو موجود في العهد الجديد مما يجعل الحوار بين النصارى والمسلمين (ليس فيما يتعلق بحالة عيسى عليه السلام وطبيعته) أمراً واعداً بأن يكون مفيداً.

ولقد كان شيدل في هذا السياق صادقاً إلى حدٍّ ما، وذلك أنه اقتبس الفقرات المتعلقة بهذا الموضوع من "أعمال الرسل" (٣:١٣، ٢٦ و٤:٢٧)، وذلك كي يذكر قرَّاءَهُ بأن قدماء اليهود ونصارى سورية، على النقيض من الذين لهم خلفيات هيلينستية ولاتينية، يعتقدون أن عيسى عليه السلام، كان عبداً لله، وينظرون إليه كذلك فقط. كما اعترف أيضاً أن هذه النصرانية السامية الأصلية تعيش ضمن الإسلام.

ومن المشجع أن نرى أن خبيراً في أمور النصرانية درس التاريخ المأساوي للكنيسة النسطورية، استطاع التوصل إلى هذه النتيجة. إلا أنه من المثبِّط أن نرى أنه قد فعل ذلك بناء على الكلام الفارغ المبني على "الرقمية"، وأنه يقلِّص أهمية محمد ﷺ، بأن يرفعه إلى مقام أستاذ كاتب بارع. فالله ﷻ وحده، هو الذي أوحى هذا القرآن الكريم بالشكل المبدع الرائع الذي هو فيه.

وإذا أردنا أن نتكلم بدقة عن كتاب شيدل هذا، فإن قراءة ما بعد الصفحة الرابعة والثلاثين ليس فيها ما ينقع غلَّةً أو يسمن من جوع، حيث يقول: "وبما أن الحروف أيضاً هي أرقام، فإننا نضيف أيضاً قيمها الرقمية"، حيث إنه في تلك النقطة بالذات يتوقف العلم ويبدأ السحر.

انظروا إلى هذا الغرور العجيب، هل يُفترض أن تكون ألفباء العبرية لا تمثِّلُ فقط النظام الرقمي الذي وهبه الله لها، بل وإنها أكثر من ذلك، تحدد "رقمية" الألفباء العربية. فلماذا، إذا كان لي أن أطرح سؤالاً، يمثل حرف الألف الرقم ١، وحرف التاء الرقم ٤٠٠، وحرف الراء الرقم ٢٠٠، ولكن حرف الحاء لا يمثل سوى الرقم ٥؟ ومن هو الذي يملك أن يقرر أن الرقم ٥٥ هو تعبير عن الكمال الشفاف؟

لا شك أن مشاهدة هذه الأعمال القبلانية اللغوية هي أمرٌ مُسلٌّ وممتع! ولعل إحدى الحيل التي يستخدمونها هي الانخراط في نبوءات محققة

للذات، أي: إنهم يغيرون طرقهم ومعاييرهم في العدِّ، إلى أن يظهر لهم رقم ذو أهمية رمزية ملحوظة. ويتم التركيز على مثل هذه النتيجة بشكل خاص حيث إن القبلانيين قد حمَّلوا كل توليفة من الأرقام قيمة رمزية. وقد تساعدنا التعريفات التالية على كشف النقاب عن تلك الطرق:

بما أن هناك ٨٦ سورة مكية في القرآن الكريم، فتطرح الفكرة نفسها أن الرمزية الرقمية تلعب دوراً هاماً في هذا الموضوع، وذلك لأن الرقم ٨٦ هو القيمة الرقمية لكلمة "إله" *Elohim* وهي الكلمة العبرية التي تعني "الله". (صفحة ٣٨)

"نحن نظنُّ أنهم (أي: الحروف المقطعة الغامضة في القرآن الكريم]) هي إشارات إنذارات رقمية - فنية لتأمين النص الذي سيرد بعدها". (صفحة ٢٠٥).

ومن الواضح أن الذين يعكفون على مثل هذه التأملات [الفارغة] سيصيبون "ضربة حظٍّ" رمزية صوفية...

كما أن قبلانيي القرن العشرين الذين تمكَّنوا تماماً من معالجة البيانات لا شك حريصون على تقديم مادة القرآن الكريم لتحليل نصوصه باستخدام البرامج التي يدعمها الكمبيوتر؛ لذا، يجب علينا أن نقيد أنفسنا كي لا نصاب بصدمة من التحليل الكمي "لأسلوب محمد [ﷺ]"، بل وحتى استخداماته المفضلة لحروف علة محددة!... وهذا، سيفتح الباب بدوره للمزيد من الألعاب الإليكترونية الدقيقة للتفسير مؤكداً المثل الألماني: "كلما قلَّ الإيمان، زاد "ما بعد الإيمان".

هل الرقم ١٩ هو السرُّ؟

بروكسيل ـ ١٧ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

تنص سورة المدثر، وهي السورة الرابعة والسبعون، في آيتها الثلاثين، وبشكل مفاجئ نوعاً ما، تنص على ما يلي: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾. ولعل من نافلة القول أن نقول إنه تمت محاولات كثيرة خلال القرون الماضية لتفسير هذه الآية الغريبة [المحيرة]. ترى، هل يشير هذا العدد إلى الملائكة الذين ورد ذكرهم في الآية التالية؟ ترى، هل هي إشارة إلى "رقم كوني" للمجموع العام للكواكب والبروج (كما يحلو للغنوطسيين أن يفترضوا)؟ ترى، هل تشير إلى الوظائف التسعة عشرة للجسم والتي عدَّدها الأطباء خلال العصور الوسطى؟ الله وحده أعلى وأعظم وأجلُّ وأعلم.

لقد اختبر رشاد خليفة، إمام مسجد توسان – في ولاية أريزونا الأمريكية، اختبر الدور الذي لعبه الرقم ١٩ في تركيب القرآن الكريم بشكل عام في كتابه: "القرآن الكريم: عرض مرئي للمعجزة، توسان ١٩٨٢). فقد استطاع أن يبرهن في خاتمة المطاف، أن الرقم ١٩ هو رقم أساسي في ما لا يقلُّ عن خمسين أمراً مختلفاً، ودون أن يلجأ إلى طرق القبلانيين ولو مرة واحدة. فقد لاحظَ، على سبيل المثال، أن:

عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم"، هي موجودة في كافة سور القرآن الكريم، عدا سورة واحدة فقط، والعبارة تتألف من ١٩ حرفاً.

أول ما بُدئ به الوحي إلى نبيِّنا محمد ﷺ، في سورة اقرأ، الآيات من ١ ـ ٥، تتألف من ١٩ كلمة.

القرآن الكريم يشتمل على عدد من السور هي مضاعفات الرقم ١٩×٦= ١١٤ سورة.

لفظ الجلالة "الله"، قد تكرر في القرآن الكريم ٢٦٩٨ مرة، وهو أيضاً من مضاعفات الرقم ١٩، أي: يقبل القسمة عليه.

بل الأعجب من ذلك، فقد اكتشف رشاد خليفة أن الحروف المقطعة لكثير من فواتح سور القرآن الكريم تتكرر في السور ذاتها عدداً من المرات هو من مضاعفات الرقم ١٩، دون أي اختلال لهذه القاعدة. وبناء على هذا، فقد استقر رأي المؤلف على أنه استطاع أن يبرهن بشكل حسي ملموس أن القرآن الكريم، بما هو عليه، هو وحيٌ من الله عز وجل. وإن المعرفة لا يمكن بحال من الأحوال أن تحل محل الإيمان.

بل إن رشاد خليفة يلمح إلى أنه من خلال تحليل القرآن الكريم، استطاع أن يضع أساساً لما ألمح إليه كثير من الفلاسفة من قبله، أي: أن هناك دليلاً ملموساً على وجود الله!...إلا أنه لم يدرك أن هذا المنطق هو "دائري"، وبالتالي فقد ادعى أنه أكد أيضاً أن نص القرآن الكريم، كما هو عليه حالياً، لم يُحرَّف على الإطلاق، وإلا فإنه لو حُرِّفَ القرآن الكريم لاختل التركيب الهندسي واللغوي المبني على الرقم ١٩ للقرآن الكريم!...

وفي رأيي [المتواضع]، إن الطريقة التي استخدمها رشاد خليفة تثير من التساؤلات والإشكالات أكثر مما تحلُّ، وإليك ما يلي:

هل من المسلمات، والبدهيات الواضحة أن الوحي الفعلي له تركيب رقمي؟

أليس من الممكن أن يجد المرء تراكيب أخرى في القرآن الكريم تعتمد على أرقام أخرى، شريطة أن يبذل المرء المزيد من الجهد في البحث عن تلك الأرقام؟

هل الدور الذي لعبته الآية المشار إليها في سورة المدثر، وهي السورة الرابعة والسبعون، في آيتها الثلاثين، من ناحية منطقية بحتة، هي دليل قطعي حاسم باستخدام الرقم ١٩، تشير إلى تركيب القرآن الكريم وصياغته [بشكل عام]، أم أنها مجرد مصادفة بحتة؟

هل يمكننا أن نفترض أن ترتيب القرآن الكريم (بمقارنته مع الوحي) ليس بأي شكل من الأشكال، نتيجة لجهود بشرية في التجميع؟ وهل فصل السورتين الأخيرتين في القرآن الكريم ١١٣ و١١٤، على سبيل المثال، هو أمرٌ من الله ﷻ؟

إنني أشك في أي تعليقات من هذا النوع. فإننا عندما "نشهد" أنه "لا إله إلا الله"، فإننا نفعل هذا بالتأكيد؛ لأنه ليس هناك دليل "ملموس" جاهزٌ وحاضر يدل على ذلك. والحق أقول: "إن الإيمان لا يمكن أن يستعاض عنه بأي شيء آخر مهما كان نوعه".

الاستقامة والثبات عند "كونغ"...

بروكسيل ـ ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

لقد أصبح عالم الأديان المشهور، البروفيسور الدكتور هانز كونغ *Hans Kung*، وهو المدير الحالي لمعهد البحوث المسكوني في توبنجين *Tubingen* في ألمانيا، أصبح على خلاف مع الكاثوليك التقليديين لفترة ليست بالقصيرة. إلا أنه مع صدور كتابه بعنوان: "النصرانية وأديان العالم، ١٩٨٤"، وصل في خلافه مع روما إلى مستوى جديد. فقد أصبح كونغ ميالاً تماماً أن يقبل محمداً ﷺ، على أنه "نبي". وهو بعمله هذا يتابع العمل الذي بدأه من قبله الأستاذ الدكتور رودولف بولتمان *Rudolf Bultmann* في جامعة ماربورغ بعنوان: "إزالة خرافات" العهد الجديد. وقد تابع كونغ عمله بشكل منطقي ليشمل كافة الأديان الرئيسة في "حوار مسكوني" كان من قبلُ حكراً على المذاهب النصرانية فقط.

وقد بيَّن كونغ خلال مؤتمر عُقِد في شتوتغارت عام ١٩٨٥ حول: "العالم الإسلامي بين التقليد والتقدم"، بيَّن أن الكنيسة لم تعد تدافع عن حكمها التقليدي لعام ١٤٤٢ أنه لا نجاة خارج نطاق تعاليمها (*extra ecclesiam nulla salus*).

ومن هذا التطور بالذات، ومخالفة للنتيجة العامة لمجلس الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥)، فقد استنتج كونغ أن الأطروحة التالية وهي: "لا يوجد أنبياء خارج نطاق الكنيسة"، يجب أن يصبح هو الآخر لاغياً أيضاً. ويبين أنه حتى لو أدركنا (ولو متأخرين) أن الإسلام كان، وما يزال،

طريقاً أصيلاً للنجاة، فإنه ليس بوسع الكنيسة ألا تدرك أن محمداً ﷺ، وهو الهادي والدليل على ذاك المسار، إنما هو "نبي" [ورسول] حقيقي.

ويعتقد كونغ أيضاً بصحة وجهة نظر المسلمين أن العهد الجديد قد تنبأ بمجيء نبي آخر، وأن "كلاً من رسالة الإنجيل والقرآن الكريم، دون أدنى شك، يتفقان معاً من حيث المبدأ والإطار العام". (*Zeitschrift fur Kulturaustausch, 1985/3, pp. 315 ff.*)

ثم طلب كونغ، بهدوء، من مناظريه الغاضبين في الكنيسة الكاثوليكية أن يدرسوا هذه الديانة العالمية التي أهملوها إلى حد كبير. ويبدو أن بعض الرهبان الكاثوليك قد فعلوا ذلك فعلاً، حيث إن اثنين منهم، من أبرشية (أسقفية) باريس، قد اعتنقا الإسلام مؤخراً.

وعلى الرغم من قلة المثقفين الغربيين والفنانين الذين اكتشفوا الإسلام [وتعرفوا عليه]، أمثال كل من: النمساوي ليوبولد ويس (محمد أسد)، والبريطانيين: ريتشارد بورتون، ومارمادوك بكتال، ومارتن لينغز، وكات ستيفنس، والفرنسيين: رينيه غونون، وإيفا دو فيتري - ميروفيتش، وروجيه جارودي، وموريس بيجارت، على الرغم من كل هؤلاء، فإن تقديرات كونغ بأن الغربيين لا يعلمون عن الإسلام إلا القليل جداً، هي تقديرات صحيحة. بل إن كثيراً من "علماء الاستشراق" الغربيين أخفقوا بالفعل في فهم الإسلام بشكل متعمق. وبعد كل هذا، ترى ألم يكونوا بشكل عام يخدمون الأطماع الاستعمارية، سواء أكان ذلك بوعي، أم دون وعي، وذلك عندما يقيِّمون الإسلام حسب المسطرة العالمية الافتراضية للمدنية الغربية ونظامها الأخلاقي؟

ويقتبس برويز منظور في مقاله في مجلة: "مراجعات الكتاب الإسلامي العالمي (المجلد ٦، العدد ١، الصفحة ٥)" ما كتبه إجناز جولدزهاير *Ignaz Goldziher*: "ترى ماذا سيبقى من الأناجيل لو أن الطرق القرآنية في تحقيق

النصوص] قد طُبِّقتْ عليها؟" ولعل الجواب السليم على هذا السؤال الذي أصاب عين الحقيقة سيفترض أولاً دراسة تشكُّل وتفسير العهد الجديد من حيث النواحي الفلسفية والأساطير الخرافية (الميثولوجية) التي كانت سائدة في ذلك العصر. ويمكن أن تشتمل هذه الدراسة على كل مما يلي:

العلاقة بين إله الشمس مثراس *Mithras* والعبادات السرية الغامضة، واللاتينية - النصرانية *dies soli* ويوم "الأحد" في الأساطير الخرافية النصرانية.

العلاقة بين آلهة المصريين "آيزوس" (على أنها "نجمة البحر"/ *stella maris* وهي شخص من "الثالوث" المصري للآلهة)، والآلهة - الأم الرومانية ماجنا ماتار *Magna Mater* (التي تعرف أيضاً باسم *Dea Dia* و*Kybela*) والعبادة النصرانية للسيدة مريم [التي يعتبرونها] "أم الإله"، وأخيراً:

العلاقة بين التقاليد الرومانية لتأليه الأمبراطورات الأموات بناء على قرارات مجلس الشيوخ وقرار مجلس نيقية لترقية عيسى [عليه السلام] إلى مقام الربوبية (الألوهية) عام ٣٢٥ [أستغفر الله].

فإذا تمَّ تطبيق طرق البحث التاريخي على كل من المصادر الدينية والمفاهيم، فإنه ليس هناك ما يمكن أن يقلق عليه الإسلام أو يخافه، بل وإن النصرانية تخشى على كل شيء فيها [فهو مهدد تماماً]. إن هانز كونغ يرى هذا [جلياً]، وهو يتابع طريقه على مسار سيؤدي به إلى اعتناق الإسلام شخصياً، إن شاء الله.

الانفجار الشهير في الجزائر...

الجزائر. ٥ . ١٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨

لقد كانت ذكرياتي عن حرب الاستقلال أليمة جداً حتى إني نويت ألا أطأ الثرى الجزائرية مرة أخرى. إلا أنني بعد خمس وعشرين سنة أخرى، وفي السابع عشر من آب/أغسطس، عام ١٩٨٧ عينت سفيراً لألمانيا في الجزائر.

وقد بدت هذه المدينة الجميلة للوهلة الأولى أنها لم تتغير، إلا أنني لما لاحظت الازدياد الملحوظ في عدد السكان، والأعراض الكثيرة للاشتراكية لاحظت أن هذه الأمور لا يمكن تجاهلها. فعلى سبيل المثال، كانت أماكن السكنى نادرة جداً بحيث كنت ترى أن الشقق السكنية المتوفرة مكتظة بشكل كبير وخيالي، بل وإن أفراد العائلة الواحدة يجب عليهم غالباً أن يتناوبوا في استخدام أسرَّةِ النوم ذاتها: فالأطفال الصغار يستخدمونها أثناء الليل، والكبار الذين لم يجدوا عملاً، يستخدمونها خلال ساعات النهار (أو على الأقل إلى الوقت الذي تُخْرِجهم فيه أمهاتهم إلى الشارع للتمكن من تنظيف "البيت"). ولا عجب إذن أن يتصرف كثير من هؤلاء الأطفال كما يتصرف الشباب، وأن تظهر على وجوههم علامات التقدم في السن. وعندما يترك هؤلاء المدرسة، ليس هناك أية ضجة سعيدة.

إن الفكرة الكبيرة لتصنيع البلاد من أعلاها إلى أسفلها والتي سميت "التصنيع" لم تفشل في تحقيق الهدف المنشود منها فحسب، بل إنها حطمت كلاً من الزراعة والمهن اليدوية. وعلى غرار هذا، فقد كان كثير من المجمعات الصناعية، والتي أنشئ كثير منها في الأماكن غير

الصحيحة، لم تكن مربحة على الإطلاق. فعلى سبيل المثال، فقد كان وادي متيجا الواقع حول البليدة، والذي كان سابقاً أحد أخصب المناطق في البلاد، أصبح لا يعرف بسبب البلوكات الإسمنتية الكثيرة التي وضعت فيه.

وبعد انتصارهم على فرنسا، اعتقد الكثير من الجزائريين أنهم ليسوا مطالبين بأن يخدموا أحداً بعد ذلك، بما في ذلك السائحين. إلا أن مصادر الثروة الطبيعية للجزائر، والتي كانت النفط والغاز الطبيعي، أصبحت بالنسبة لهم نعمة مشوبة بالنقمة. وفي الواقع، فبينما عُدَّ هذان المصدران بأنهما يشكلان ٩٧٪ من إيرادات صادرات الدخل الإجمالي، كانا بالكاد كافيين لتغطية الديون العامة وسداد ديون ما تستورده الجزائر من المواد الغذائية التي كانت تصدرها الجزائر في أوقات سابقة. وكانت يبدو أن هناك فائضاً فقط في أشعة الشمس، والرمل، والأطفال، بل وكان الناس يتندَّرون على هذا قائلين: "قد تصبح الرمال قريباً، في الاقتصاد الاشتراكي، تصرف بـ: "البونات" بقدرٍ محدود لكل مواطن!" ولا داعي لأن نضيف بأن "الحزب" الوحيد في السلطة ـ لربع قرنٍ من الزمان حتى الآن ـ قد احتكر كلاً من: الحياة العامة، والاجتماعية، والاقتصادية معاً، ولم يكن مستعداً للانفتاح لأية إصلاحات.

ومع ذلك، فقد كان كل من البحث العلمي والخدمات الطبية موفقة وناجحة. إلا أن هذا أنتج عدداً متزايداً من طبقة البروليتاريا "الأكاديمية" التي لا تجد عملاً تعمل فيه، وقد أصرت هذه الطبقة على التعليم من اللوائح الاسمية على السؤال التالي: "لماذا يمكن أن تكون بلدٌ بمثل هذه الإمكانات الغنية، بمثل هذا الفقر؟" واتهم البعض الحلقات الشيوعية ضمن جبهة التحرير الوطنية بأنها "صادرت" ثمار الجهود الجماعية لكل من: الإسلاميين، والبرجوازيين، والاشتراكيين الذين شنوا الحرب ضد فرنسا. وعندما كان هؤلاء الشباب يتكلمون عن حكومتهم، بل وحتى

عن بلادهم، فكانوا يشيرون إليها على أنها "هم" ولا يشيرون إليها على أنها "نحن" على الإطلاق. وقد كان من الواضح أنهم يبحثون عن بديل غير اشتراكي، وكانوا يبحثون عن هوية لهم، ولم يجدوا أفضل ممن يقدمها لهم سوى دينهم: "الإسلام". وبالفعل، فلم يقدم أحد آخر، سوى المساجد، الأرض المناسبة والمناخ الملائم للتعبير عن اعتراضهم وتنظيم جهودهم المعارضة. وهكذا، فقد آن أن يولد "الإسلام الموازي"، إلى جانب "الإسلام الرسمي".

لعل هذه هي الخلفية التي نشأت فيها الانتفاضة المشهورة التي حدثت خلال هذا الأسبوع بشكل رئيسٍ في الجزائر، ولكن ليس في مدينة الجزائر وحدها. وقد انتشر المراهقون، والشباب الجزائريون الغاضبون، على مدى أسبوع كامل، حيث اختفى كل من: الشرطة، والجيش، والحكومة. ويبدو أن الثوار مزقوا كل شيء دون استثناء، ولم يمض سوى وقت قليل حتى اتضح أن الأهداف الحقيقية لهؤلاء كانت المؤسسات غير المرغوب فيها كالمؤسسات الحكومية، والشرطة، والحزب، بل وحتى البوليساريو. وقبل أن يتمكن الجيش من سحق هذه الانتفاضة والقضاء عليها، ظهرت الحركة الإسلامية، والتي ما تزال غير قانونية [شرعية] حتى الآن، على أنها القوة الوحيدة القادرة على السيطرة على الشوارع وتهدئتها وإعادة النظام والأمن دون إراقة دماء. وهكذا ولدت "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" *(FIS)* بقيادة عباسي مدني، وقد اعتبرت في الوقت ذاته "الحزب المعارض". وكان المرء يشعر في الجزائر ما كان يشعر به أصحاب "الثورة السياسية" القصيرة الأمد في براغ عام ١٩٦٨.

وقد استمر إطلاق النار لفترة ما، إلا أنني كنت أملك سيارة مرسيدس مدرعةً، وبهذا استطعت أن أتنقل من مكان إلى آخر. وكان واجبي الأساسي، إلى جانب البحث عن الحقيقة وتحليل الموقف، هو أن أجهِّز لإخلاء المستعمرة الألمانية، والحيلولة دون الشعور بالذعر والهلع بين

أفرادها. وكما هي الحال في مثل هذه الحالة غير المستقرة، ففي حين وجود أي شك، كانت نصيحتي للناس أن "يحافظوا على الهدوء". وقد توقفت كافة الأنشطة العادية، وبذلك لم تعد حاجة سوى إلى عدد محدود جداً من الموظفين في السفارة للقيام بالأعمال القليلة المطلوبة، ولذا، فقد تركت لكل من العاملين الخيار في أن يأتي، أو لا يأتي إلى العمل في مكاتب السفارة، حسب ما يرى مقتضيات الأمن والسلامة الخاصة به. والعجيب في الأمر أن السكرتيرات اللواتي تابعن الاتصال مع بون عن طريق التلكس كُنَّ أشجع، بشكل عام، من بعض زملائهن من الذكور...

ولم تتوقفْ زوجتي، خلال تلك الساعات العصيبة، عن ممارسة تدريباتها في العزف على القيثارة ذات الوتر الواحد. وكانت، وبكل بساطة، تتزوي في زاوية من زوايا البيت، بعيداً عن النوافذ، وآمنة من الإصابات بطلقات طائشة. (وهل لي أن أسأل: ترى أين هو المكان "الآمن"؟).

آخر الإباضيين...

بني إزجوين. ٢٦ أيار/مايو ١٩٨٩

لم تكن في الجزائر راحة أكثر من الذهاب إلى "معزب"، وهي صحراء صخرية تقع على بعد ٦٥٠ كيلومتراً جنوبي الجزائر. أنت هنا في وسط "اللامكان"، حيث وجد آخر الإباضيين الصادقين ملجأ لهم من الاضطهاد الديني، واستطاعوا بناء سبع مدنٍ رائعة (مثل: غرارديا، ومليكة، وبني إزجوين، والعطيوف). وكان هذا أيضاً هو المكان الذي استطاعوا أن يتمسكوا فيه، بلا هوادة على الإطلاق، بتفسيراتهم الصارمة للإسلام وتقاليدهم الإسلامية الديموقراطية.

كان هؤلاء ينتمون إلى البربر من حيث العرق، إلا أنهم كانوا يجيدون التحدث بالعربية كأفضل ما يكون في البلاد كلها، حيث استطاع *Mozabites* المشاركة في الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي. بل إن المركز الرئيس للولاية الجنوبية (المقاطعة العسكرية) لقوات جبهة التحرير الوطنية *FLN*، قد تمركزت هناك. إلا أن *Mozabites* بعد الحرب، رفضوا أي ميداليات، ورفضوا الرواتب الحكومية للثوار المجاهدين المقاتلين المتقاعدين، أو أية مزايا أخرى كانت تنهال على أعضاء جبهة التحرير الوطنية. لقد قاتل هؤلاء في سبيل الله، وفي سبيل الأمة فقط. وقد استطاعوا الدفاع عن أنفسهم أفضل من أي جماعة أخرى في البلاد ضد الغزو الاشتراكي.

لم نستطع الوصول عن طريق الواد وأورغلا - حاسي مسعود بسبب عاصفة رملية، فاضطررت للذهاب إلى بني إزجوين، حيث اجتمع حوالي

٣٥٠ شخصاً للاستماع إلى المحاضرة التي ألقيتها بعنوان: "النقاط العشر التي أكرهها في ممارستي للإسلام"، وكانت تلك النقاط كما يلي:

الأسلوب الخطابي في خطب الجمعة، وخاصة الأسلوب الذي يتجه إلى العواطف أكثر من العقل، كما يفعل القائد العسكري عندما يدعو جنوده إلى القتال ويحثهم عليه في المعارك.

الصلة بالعنف بالنسبة لكثير من الناشطين الإسلاميين الشباب الذين يميلون إلى تطبيق أفكارهم بدلاً من الاعتماد على حجة الإقناع، وكأن المرء يستطيع استبعاد "المرحلة المكية" من الدعوة حيث تُستقطب القلوب والعقول، والدخول مباشرة في "المرحلة المدنية" لبناء دولة إسلامية.

ظاهرة التقليد غير الحرج الناتج من الخوف من البدعة الممنوعة والذي يقف في طريق تجديد الفقه الإسلامي المتعلق بالمجتمع المعاصر.

الغرور الأخلاقي والذي يمكن أن يلاحظ في موقف المتقدمين من المسلمين (كالعرب والفرس)، تجاه المسلمين من الأصقاع الأخرى من العالم. ويستمر هذا الموقف اليوم، على الرغم من الحقيقة التي أوردها محمد أسد حين قال: "إن هناك عدداً قليلاً من المسلمين في الغرب، إلا أن هناك الكثير من الإسلام، بينما نجد الكثير من المسلمين في العالم الإسلامي، والقليل من الإسلام".

لقد أصبح التاريخ الإسلامي تاريخاً دكتاتورياً، علماً بأن الشريعة تفرض حكومة شورى.

الخوف من التقنية [التكنوفوبيا]، أو موقف رفض كل ما يرد من الغرب، وكأنه كان هناك تمييز بين التقنية "الإسلامية" و"غير الإسلامية". وليس هناك من خيارٍ للأمة الإسلامية إلا أن تتمكن من التقنية المعاصرة الحديثة، أو أن تتملكها وتتحكم بها وتستعبدها تلك التقنية.

الميل الشديد إلى تحويل الإسلام إلى دين "النخبة"، بدلاً من أن يكون في متناول الجميع، بتقديم ما يسمى: "البدعة الحسنة".

الإفراط بالاهتمام بالقضايا والأمور الجانبية الفرعية، والتي تجعل الإسلام في خطر الوقوع في شرك العقيدة التلمودية. فقد كان المهمُّ كيف يسلم المرء قياده وأموره جميعها إلى الله، وليس كيف ينظف أسنانه.

تشرذم العالم الإسلامي وتفرُّقه إلى دويلات وجماعات، وهذه "الجماعية" تؤدي إلى تطرفات سلبية.

تهميش المرأة، والذي يعني تهميش نصف سكان العالم الإسلامي، وبالمناسبة، فهذا التهميش يشمل "والدة" كل مسلمٍ من الذكور.

لم أنتقد [في المحاضرة] غياب التسامح، وقد فعلت هذا بشكل صحيح. وبدلاً من أن يطردني هؤلاء المتدينون المتشددون من بلدتهم، فقد أصغوا إليَّ باحترام، على مضضٍ وخلافٍ بالرأي. وكان كثير منهم ينتمي إلى "المخابرات" الفنية لبلادهم.

وفي الوقت ذاته، فقد كانت زوجتي تمضي شيئاً من الوقت مع نسائهم اللواتي كبرن وأصبحن محجباتٍ تماماً، عدا عينٍ واحدة فقط، عندما يخرجن من بيوتهن.

وعندما دعاني مضيفي إلى تناول الشاي بعد المحاضرة، سألتهم ما إذا كانوا يشعرون أن من الأهمية بمكان أن يتزوج المثقف من زوجة تماثله في مستوى الثقافة. وقد كان الجواب مثيراً جداً للإحباط غير المسبوق: "كيف؟ وهل يقضي المرء كثيراً من الوقت مع زوجته، أم أنه يفعل ذلك؟" وقد راودتني نفسي جداً أن أرد بشكل ساخر: "بالطبع، فهو يقضي هذا الوقت معها في الظلام".

وفي طريق العودة، بين جليفا والبيروغية، فمع أنه لم تكن هناك أية عاصفة، فكان لا بد لنا أن نسير خلال ١٥٠ كيلومتر من الضباب

الكثيف الذي يتشكل من ذرات غبارية وغير قابل للنفوذ بالأضواء الأمامية لسيارتنا. وهذا يعني أن الصحراء تقفز على ما يسمى: "الحزام الأخضر" جنوب جبال الأطلس، والتي تزحف تدريجياً نحو الجزائر، والتي لا تبعد سوى ٨٠ كيلومتراً من هذه المنطقة. وهذا دليل آخر على أنه لن يصمد شيءٌ تحت تأثير كل من: الشمس، والرياح، والجفاف. ولكن، مع ذلك كله، فإن حب الصحراء يسكن في قلوب كثير من الناس.

obeikandl.com

نظرية الانفجار العظيم: لا مكان فيها للإله؟

الجزائر. ٢٢ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٩

أكد مؤخراً العالم الألماني النووي كارل فريدريك فون ويزاساشكر *Carl Friedrich von Weizsacher* أن: (قوانين الفيزياء لا تشرح ما هي حقيقة "المادة". بل إن هذه القوانين تعلمنا فقط كيف يجب أن نكوِّن إدراكنا وتصورنا لنتمكن من مواجهة الأجسام). وقد كان هذا الأمر اكتشافاً أساسياً في كلا الأمرين: الفيزياء الدقيقة والكبرى. بل ومنذ أن أعلن وورنر هيزنبيرغ *Werner Heisenberg* عام ١٩٢٧ مبدأ "الشك" أو "عدم التحديد" [اللاحتمية]، وكان هذا بالأصل فيما يتعلق بموضع الإلكترون وسرعته، فقد تمَّ تنبيهنا منذئذٍ أن نأخذ كحقيقة [مُسلَّم بها] ما هو نتيجة، في الحقيقة، فقط لطريقة محددة من التساؤل والاستعلام.

ومهما كان الأمر، فإن علماء الكون (أمثال ستيفن هاوكنغ *Stephen Hawking*) تنافسوا مع بعضهم في شرح الأصل العضوي المادي للكون. ويعود الفضل إلى نظرية النسبية لإلبرت آينشتاين *Albert Einsein*، والتي تعرف باسم: "نظرية الانفجار العظيم" التي اكتسبت موثوقية طيبة لأننا اليوم تعودنا أن نفترض أن الوقت هو بُعْدٌ في الفضاء، وأن الفضاء هو بُعْدٌ في الوقت. كما أن هذا الافتراض أيضاً يتيح التأمل والتفكر في أنه قبل أن يتشكل الكون لم يكن هناك أي فضاء (وبالتالي، لم يكن هناك وقت أيضاً)، ولم يكن هناك وقت (وبالتالي فلم يكن هناك فضاء).

ولا يزال الفلاسفة يعتقدون أن الله قد خلق العالم، أو الكون، من لا شيء، وليس هناك ما يشير إلى عدم وجود فضاء، وعدم وجود وقت. إلا أن

الفلاسفة التقليديين لم ينكروا أبداً أن العالم لم يُخْلَق، كما أنهم لم يؤكدوا أنه كان نتيجة لعملية دون عقل أو تفكير. وربما يجب أن يوجه السؤال إلى ستيفن هاوكنغ من أين أتت: الإمكانية، والشروط، والمادة لنظرية "الانفجار العظيم"؟

يجب على علماء الطبيعة أن يرجعوا "حلقة" أو "حلقتين" في "سلسلة السببية"، السلسلة ذاتها التي تقود في النهاية إلى "الله"، الخالق، ربِّ العالمين.

"إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا"...

الجزائر. ٢٩ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٩

كان اليوم هو العيد الوطني لتركيا. وبينما كنا نركب سيارتنا في طريقنا إلى حفلة زميلنا التركي، في أمسية شديدة الحرارة والرطوبة، لاحظنا أن قطعنا كلها قد اختفت، وهذا نذير شؤمٍ في هذا المكان المعروف بكثرة الزلازل. وبعد ذلك، ففي أثناء عودتنا، تنبَّهنا إلى أن الناس قد غادروا بيوتهم، وكثير منهم يحملون أولادهم الصغار على أيديهم. وفي ذلك الحين فقط أدركنا أن الجزائر بدأت تتزلزل من جديد.

وبقينا نحن أيضاً خارج البيت، وقد وقفنا على أقدامنا نرتجف ونهتز عندما أخذت أشجار النخيل "ترقص" هي الأخرى. وكان أكثر ما أخافنا الضجيجُ: وكأنه صوتُ زئيرٍ حادٍّ لقطار يكاد يدهسنا. وفي الحقيقة، فقد كان المركز السطحي (سطح الأرض الواقع فوق بؤرة الزلزال مباشرة)، على بعد حوالي ستين كيلومتراً منَّا، وكما هو الحال، في المنطقة الساحلية قريباً من تيباسا.

ومع ذلك، فيجب على المسلم أن يتمالك نفسه ولا يفقد رباطة جأشه عندما يواجه مثل هذه القوى الطبيعية التي تفوق التصور، بغضِّ النظر عن عجزه التام على القدرة أن يفعل أي شيء في مثل هذه الحالة، وبغضِّ النظر عما يشعر به المرء من قزامة حجمه أثناء زلزال قوي (٦° درجات على مقياس رختر). بل يجب أن يفكر المرء بما ينتظره في المستقبل كما وصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة الزلزلة، وكيف سيبدأ يوم القيامة: سيبدأ بالشكل الذي بدأ به الزلزال اليوم [والله أعلم]، إلا أن

الزلزال سيكون أسوأ وأعنف وأشد بكثير مما نراه اليوم، كما هو حجم القزم بالنسبة للعملاق.

وتنتهي هذه السورة الرائعة على النحو التالي:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾

obeikandl.com